@Tafsircenter

من بحوث المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية

أهمية المقاربة التخاصصية في تطوير الدراسات القرآنية

د. بشير خليفي

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

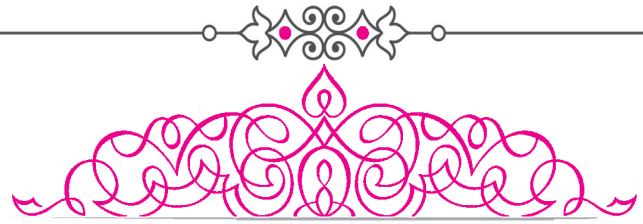

أهمية المقاربة التخاصصية في تطوير الدراسات القرآنية

د. بشير خليفي

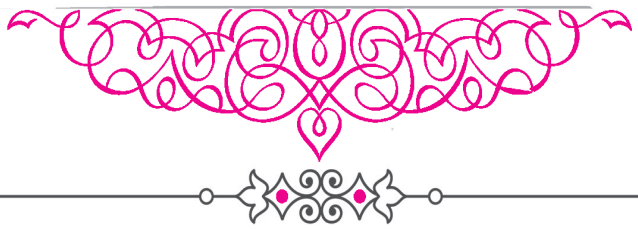

السيرة الذاتية

الاسم واللقب: بشير خليفي.
مكان الميلاد وتاريخه: ١٤/ ٠٥/ ١٩٧٣ بالعين الصفراء.
المؤهل العلمي: دكتوراه علوم في فلسفة اللغة.
مكان الحصول عليه وتاريخه: كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، ٢٠١٠م.
الدرجة العلمية: أستاذ محاضرًا.
التخصص العلمي العام: علوم اللغة، الدراسات القرآنية، قضايا الإسلام والغرب والحوار الحضاري.
التخصص العلمي الدقيق: التحليل اللغوي.
العمل الحالي: أستاذ محاضر بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، الجزائر.
الإنتاج العلمي:
*** الكتب:**
١ ـ العدالة والإنسان، (كتاب مشترك)، دار آل رضوان، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.
٢ ـ الفلسفة وقضايا اللغة، قراءة في التصور التحليلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دار الاختلاف الجزائر، ط١، ٢٠١٠م.
٣ ـ التسامح الفعل والمعنى، (كتاب مشترك)، دار القدس العربي، الجزائر، ط١، ٢٠١٠م.
*** البحوث:**
١ ـ الغرب والإسلام في الجزائر، تحليل لمعوقات التفاهم، الناصرية، مجلة محكمة صادرة عن مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، العدد ٢، جوان ٢٠١٢م.
٢ ـ الفلسفة الأخلاقية عند الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة المواقف، مجلة محكمة للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، عدد ٠٦، ديسمبر ٢٠١١م.
٣ ـ تفعيل المقاصد في تجارب الزفاف الجماعي، عدد خاص، كلية الإلهيات جامعة دوكوز أيلول، إزمير، تركيا، منشورات وقف إيساف للثقافة والعلوم، اسطنبول، ٢٠١٢م.

* المشاركة في المؤتمرات والندوات:

١ ـ الإنسان عند الأمير عبد القادر الجزائري، الملتقى الدولي الإنسان في الفكر الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر ١٣/ ١٤/ ٠٤/ ٢٠٠٩م.

٢ ـ المسلمون في الغرب بين رهان الخصوصية الثقافية وضرورة العيش المشترك، الملتقى الدولي تجديد الخطاب الإسلامي في الغرب من أجل الحوار والعيش المشترك، بمناسبة المدينة المنورة عاصمة للثقافة الإسلامية، معهد ابن سينا للعلوم الإنسانية، ليل، فرنسا، ٠٧/ ٠٨/ ٠٩ جوان ٢٠١٣م.

٣ ـ البرهان في الخطاب القرآني، الملتقى الدولي تدبر في القرآن الكريم، (باللغة الإنجليزية)، معهد البحوث للأساس الفلسفي للمعارف، أنقرة، تركيا، ١٠/ ١١ ماي ٢٠١٤م.

العنوان:

* البريد: د. بشير خليفي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، معسكر ٢٩٠٠٠، الجزائر.

* الهاتف: ٠٠٢١٣ ـ ٦ ـ ٦٥ ـ ٨٩ ـ ١٠ ـ ٩٧

* الإيميل: bachirkhelifi@yahoo.fr

ملخص البحث

يُشكل القرآن الكريم علامة فارقة في التاريخ الإنساني والإسلامي على حد سواء، إنه يجسد المدونة المعرفية المبرزة لتعاليم الدين الإسلامي، كما يُعد الكتاب المقدس الذي يحتوي على المعالم الهادية التي تنور طريق المسلم وتمده بالمعاني التي تبرر وجوده وتؤسس فهمه للحياة. ومن ثمة جاءت الضرورة لقراءته بغرض فهمه واستجلاء معانيه بالشكل الذي يتماهى مع حقيقته وغاياته، ولن يتباعد ذلك دون المعرفة بالدراسات القرآنية بوصفها جملة المعارف والعلوم التي تتخذ من القرآن منطلقًا ومقصدًا.

سنعمد في ورقة بحثنا إلى إبراز أهمية المقاربة التخاصصية (The Interdisciplinary Approach) التي تحيل إلى تساند وتآزر العلوم المختلفة المناسبة والمساعدة على فهم القرآن ليكون المقصد فهمًا سليمًا يحقق استنباطًا سليمًا. فيشترط على المختص في الدراسات القرآنية إن كان مفردًا أن يكون مُلمًّا بعديد المعارف الضرورية التي تحقق الفهم الناجع، بدءًا من اللغة والبيان، وصولًا إلى علم النفس والدراسات الاجتماعية.

وحينما يتعلق الأمر بتكوين مكونين ومختصين في الدراسات القرآنية سيكون للمقاربة التخاصصية حضورها الأبرز، إذ أنها لا تعدم التخصص، بل تراه غاية لها من خلال مقصد الدراية والكفاية، الأمر شبيه بالتكوين الطبي مثلًا، حيث يبدأ الطبيب عامًّا في إحالة للمقاربة التخاصصية، وينتهي متخصصًا في مجال محدد دون أن ينفي ذلك معرفته بالطب العام.

إن تحقيق الفهم السليم المؤدي إلى الاستنباط السليم رهين بالإرادة

المطبقة والحقيقية في تعزيز مواطن القوة ومعالجة نقاط الخلل عبر الإجادة في الفهم والاستنباط، حيث يكون القرآن الكريم محفزًا للبحث في العلوم المختلفة المحققة للكينونة، وتكون الدراية بمنطق التخاصص ـ أي تآزر العلوم وتساندها لتحقيق الفهم ـ شرطًا أساسًا لتحقق الإجادة والكفاية، خصوصًا أمام التحديات والمتغيرات العديدة التي يجابها العالم الإسلامي، والتي تشترط الدراية الحقة بغرض الاستجابة لمعايير الاعتماد الأكاديمي من خلال تعليم وتعلم الدراسات القرآنية، وفق معايير الجودة والتميز.

الكلمات المفتاحية: الدراسات القرآنية، المقاربة التخاصصية، معايير الجودة الشاملة، علوم القرآن، التعليم التشاركي، الكفايات والوسائل التعليمية، الأهداف التربوية، التقويم.

مقدمة

يحوز القرآن الكريم الفرادة بوصفه معجزة الله الخالدة، حيث خصه الله تبارك وتعالى لعباده ليهديهم إلى الصراط المستقيم، ويمدهم بالنور الذي يكفل لهم النجاة في الدارين، لذلك كان من اللازم قراءته بغرض فهمه، ومن ثمة استلهام معانيه وإدراك مضامينه والعمل بها. فهو بذلك حجة على العباد من منطلق فضائله الكثيرة في إطار علاقة الفرد بذاته وغيره وخالقه. لذلك لم يلق كتاب في التاريخ ما لقيه القرآن الكريم من الاهتمام والدراسة، وقد أدت الإحاطة بزواياه ومراميه المتعددة إلى بلورة ونشأة علوم القرآن بوصفها شرطًا رئيسًا ومدخلًا ضروريًّا للإلمام بجوانبه، كما أنها في الوقت عينه استنباطًا ونتاجًا للتدبر في هذا الكتاب الجليل.

لقد نشأت علوم كثيرة للقرآن بغرض فهمه واستبيان معانيه من زوايا متعددة، فقد جمع الزركشي في كتابه البرهان سبعة وأربعين نوعًا، وجمع الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه التحبير في علوم التفسير مائة ونوعين، وفي كتابه الإتقان في علوم القرآن ثمانين نوعًا[1].

(١) مرعشلي يوسف، **علوم القرآن الكريم**، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص ٧٥

ويتجلى هذا التعدد من خلال مضامين الدراسات القرآنية التي يمكن تصنيفها إلى مجالات وتخصصات معرفية متنوعة تبعًا لزاوية النظر، فيظهر عالم البلاغة الذي يرى في القرآن الكريم إعجازًا بيانيًّا، والفقيه الذي يراه مصدرًا أساسًا لأصول الفقه، وقل ذلك مثلًا عن العالم الرياضي، البيولوجي، الفلكي إلى غير ذلك من مجالات العلم المتعددة. هذا زيادة على المباحث المرتبطة بالقرآن الكريم من حيث كينونته ووجوده بما يساهم في زيادة التعرف عليه والاطلاع على مكنوناته[(١)]، على غرار المعرفة بأسباب النزول، ترتيبه وجمعه، إضافة إلى التجويد والتفسير، وكذلك علم القراءات وعلم رسم المصحف[(٢)].

ضمن هذا السياق كان من اللازم التفكير في إحداث التناسق والانسجام بين هذه العلوم المختلفة، ومن ثمة إيجاد الخيط الذي يشد لآلىء العقد ليظهرها في شكل منظم بهي، في هذا الإطار جاءت محاولتنا لإبراز أهمية الطريقة التخاصصية بوصفها سعيًا لتطوير وترقية البيئة التعليمية للدراسات القرآنية، وذلك بإحداث التكامل المعرفي بين العلوم، إن على مستوى مناهج التدريس أو بالنظر لمضامينه.

(١) الحسن مصطفى، **موجز في طبيعة النص القرآني**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٤، ص١٥.

(٢) عباس فضل حسن، **محاضرات في علوم القرآن الكريم**، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧، ص ٣٠.

الطريقة التخاصصية: المعنى والطريق

يقوم فن التربية على استراتيجية شاملة مدروسة لتطوير سلوك الإنسان وإبراز مهاراته وقدراته، فلم يعد الأمر مقتصرًا على التلقين فحسب، أي نقل المادة المعرفية ضمن إطار عمري محدد والسعي لمعرفة مدى تحصيلها، وإنما إدراك الأمر بوصفه مشروعًا تنمويًّا من صميم الفعل الثقافي والحضاري، يرى في المتلقي غاية التمثل، أقصد تمثل ما اكتسبه في حاضره ومستقبله[1].

أما في إطار التحديد حينما يتعلق الأمر بمؤسسات تعليمية ذات طابع أكاديمي تلقي على عاتقها مسؤولية التعليم، فإن الأمر يتحدد ضمن إطار منظومة معرفية قائمة بذاتها، حيث إن ممارسة الفهم والإفهام أي ما فهمه المعلم وما يريد إفهامه للمتعلم لم يعد يأخذ طابعًا واحدًا، فلم يعد ـ على العموم ـ المعلم المصدر الوحيد للعملية التعليمية بالنظر إلى ما تزخر به وسائط التواصل والمعلومات، وما تمده وتقترحه مناهج التدريس خصوصًا تلك التي ترى في العملية التشاركية مدخلًا رئيسًا لكل تعلم ناجع، أي تلك التي لا تنظر إلى المتعلم بوصفه

(١) ربيع هادي مشعان، **الاتجاهات المعاصرة في التربية والتعليم**، منشورات مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٨، ص١١.

متلقيًا سلبيًّا وإنما مشاركًا رئيسًا في مختلف مسارات التعلم. ويكون الأمر بالغ الخصوصية حينما يتعلق الأمر بمدرس علوم القرآن إذ لا يمكن أن يكون المدرس مختصًّا ـ على سبيل المثال ـ في التفسير والفقه والعقيدة والتجويد والإعجاز العلمي والبياني وتاريخ الأمم وعلم النفس والاجتماع في وقت واحد.

من هنا تتضح أهمية التفاعل بين الإطارين التعليمي والتعلمي لغرض تحقيق تكوين نوعي، يبدأ في مقام أول بتصور فكري للمنهاج والمنهج، بمعنى التفكير في المضامين وطرائق التدريس، فيتم اختيار المضامين بما يتماشى والأهداف المعرفية والسلوكية المقصودة، والتي تأخذ بعين الاعتبار جملة المفاهيم المدروسة والمهارات المرسخة والقيم المأمولة. ثم إن هذه المضامين سوف لن تجد أي صدى إن هي لم تأخذ بعين الاعتبار الشريحة المستهدفة، سواء بوصفها جمهورًا عامًّا أو فئة متخصصة، زيادة على ضرورة انسجام المضامين مع طرائق التدريس، فيكون التفكير واجبًا في أنجع الوسائل التي يتم بها نقل المضامين، ضمن مقاربات متعددة ترى في التقييم والتقويم مصدر إغناء، بمعنى التفكير المستمر في ضرورة تحقيق الأهداف ومن ثمة تطوير الكفاءات وتثمين النجاحات بمقابل تذليل الصعوبات ومعالجة الإخفاقات.

ضمن هذا السياق تتبدى المقاربة التخاصصية (The Interdisciplinary Approach) بوصفها عملية تشاركية بين مختلف التخصصات والعلوم التي تصب في خدمة الهدف العام المسطر من وراء العملية التكوينية، فيكون لتساند وتعاضد العلوم المختلفة وقعًا خاصًّا في البناء الهرمي التعلمي، الأمر شبيه بالتكوين الطبي على سبيل المثال، حيث يبدأ

الطبيب عامًّا وينتهي متخصصًا، ومن ثمة يكون لمختلف العلوم التي تلقاها في دراسته الأثر البالغ في نوعية تكوينه.

وفي هذا المقام يقتضي القول بأن منهجيات التعليم أفضت إلى القول بتعدد المناهج التي يتم في ضوئها إيصال المادة العلمية، فيكون لطبيعة الموضوع ونوعية الأهداف المسطرة وكذا الفئة المستهدفة تأثيرًا كبيرًا على الطريقة أو الطرائق المتبعة في الشرح والإفهام، هذا زيادة على إسهامات المتخصصين في مجال التربية والتعليم، وكذا علماء المناهج من حيث تحيينهم لطرائق التكوين العلمي بما تقتضيه طبيعة الموضوع مع القدرة على الإبداع بما يتماهى ومعايير الجودة[١].

(١) Bru Mark, Les Méthodes en Pédagogie, Que sais je?, PUF, 2 Ed, 2012, P 123.

توظيف المقاربة التخاصصية

في الدراسات القرآنية:

الوسائل والغايات

يعد القرآن الكريم المصدر الرئيس لمختلف علوم القرآن ومن ثمة محور الدراسات القرآنية، لذلك لا بد أن نستذكر في هذا المقام أولًا: فضائله وجلالة قدره، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ (النساء: ١٧٤)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١، ٢). ومن ثمة وجب الانتباه إلى جملة الشروط التي ينبغي أن يلتزم بها المعلم والمتعلم، خصوصًا وأن الله عز وجل قد أمد المسلم سواء كان متعلمًا أو معلمًا للقرآن بالمرتبة الجليلة الرفيعة، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «خَيرُكُم من تَعَلَم القُرآن وعَلَمَهُ»[(١)].

لقد أودع الله عز وجل في القرآن الكريم جملة السبل المفضية للنجاة والنجاح في الدارين، زيادة على توفره على جملة المبادئ

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن باب «خيركم من تعلم القرآن»، (٩/ ٧٤).

والغايات التي تجعل من الإنسان المسلم عضوًا فاعلًا ونافعًا لنفسه، غيره ووطنه. ضمن إطار يرفع كرامة الإنسان بوصفه خليفة الله في الأرض، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤١، ٤٢).

ضمن هذا الإطار وجب التساؤل عن غايات المقاربة التخاصصية في تطوير الدراسات القرآنية، عبر تطوير الوسائل والأساليب مع المحافظة على المنطلقات والدعائم التي تمد الفرد المسلم بهويته وخصوصيته الثقافية. من هذه المنطلقات تقضي الرؤية التخاصصية ضرورة التعاون والعمل المشترك من لدن أشخاص ينتمون لتخصصات معرفية متنوعة، وذلك بإنارة فهم الموضوع من زواياه المتعددة، حيث يكون لهذا العمل المشترك وقعه الخاص في تقديم رؤية عميقة وشاملة عن الموضوع المراد دراسته. فتجتمع الطاقات وتُنسق الجهود وتتكامل الأعمال، ليُحَقق المراد من العمل الجماعي بوصفه تعاونًا مثمرًا[(١)].

إن تحقيق الفاعلية في تعليم الدراسات القرآنية رهين بشروط عديدة، تبدأ في مقام أول بالتفكير في وسائل إنجازه، ضمن إطار علاقة معروفة في كل عملية تربوية تجمع بين معلم ومتعلم، ومن ثمة يكون للمنهاج دور رئيس في تحقيق الأهداف المرجوة، عبر تسطير برنامج يتحقق تدريجيًّا في ضوء تقديم مُدخلات معرفية ومنهجية وصولًا إلى المخرجات التي تبرزها الكفاءة والاقتدار. ويشترط في المنهاج العام

(١) ملكاوي محمد عدلي، **التربية على العمل الجماعي في ضوء القرآن والسنة**، منشورات دار الخليج للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣، ص٤٢.

سواء المتعلق بالدراسات القرآنية في عمومها أو المتعلق بعلم من علوم القرآن أن يكون شاملًا لمختلف المعلومات والمهارات المبرمجة في المقرر، زيادة على ما توفره المؤسسة من فرص للتطوير من خلال تشجيع الطلبة على الاستزادة عبر جميع الأنشطة المكملة، خصوصًا ما تعلق منها بالاحتكاك بالمهارات والخبرات في هذا المجال[(١)].

إن تطوير الدراسات القرآنية مرتبط بتوفير مختلف الوسائل المحققة لتعليم ذي فاعلية، بدءًا بالكفاءات العالية التي تمثل قدوة صالحة على مستوى السلوك والمعرفة. والواقع أن لمدرس علوم القرآن مسؤولية بالغة في إيصال هذه العلوم وتحبيبها للمتعلمين، فيكون الغرض الأول مرتبطًا بتحقيق أهداف القرآن الكريم بتدريسه بأساليب تربوية ومناهج تدريسية تساهم بغرس حبه في النفوس، ومن ثمة السعي الحثيث لتوفير الدعائم الأولى لتطوير الدراسات القرآنية، كما أنه يشكل المدرس المتخصص القدوة في حركاته وسكناته، يقوم بتحضير درسه والتخطيط لتنفيذه ضمن أنجع السبل وأنجحها، معتمدًا في ذلك على أسلوب التشويق والتحفيز والمرونة، كما يساهم في مساعدة المتعلم على تطوير معارفه وترقية مهاراته وتهذيب نفسه، ومن ثمة توفير بيئة تعليمية تُثمن الاجتهاد وتَحتفي بالمنطق التشاركي والحواري ضمن إطار آداب الحوار. وللتدليل على ذلك يمكن الحديث عن دور مدرس التجويد ضمن إطار المقاربة التخاصصية، فإلى جوار ضرورة حيازته على

(١) الشمري هدى علي جواد، **طرق تدريس التربية الإسلامية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٣، ص٦٥.

معارف أساسية في الدراسات القرآنية بما يُسهل عليه بسط مادته كمعرفته بالتفسير وأسباب النزول وقواعد اللغة زيادة على علمه بالقراءات، فإن له دورًا بارزًا في ترقية وتجويد الترتيل، بمعنى توفير أسباب وأساليب النطق السليم، ومن ثمة فإن طبيعة المسؤولية الملقاة على عاتقه تفرض عليه الالتزام بآداب التلاوة، ومراعاة أحكام التجويد وتصويب الأخطاء، إضافة إلى تعويد الطلبة والمتعلمين على الإنصات، مع ضرورة الانتباه إلى أهمية الممارسة، فالتجويد إضافة إلى كونه علمًا يكتسب بواسطة قواعد تتمحور حول إتقان النطق والتحكم في مخارج الحروف فإنه بالمقابل سيبقى غير كامل إن لم تشفع الدراسة بالمران والاحتكاك والاستماع إلى الأساطين والجهابذة من القراء والمجودين[١].

(١) محجوب عباس، **طرائق تدريس العلوم الإسلامية**، منشورات عالم الكتب الحديث وجدار للكتاب العالمي، إربد وعمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٦، ص ص ٢٠٦، ٢٠٧.

أهمية المقاربة التخاصصية

في الدراسات القرآنية

يُحتاج لمبدأ التخاصص والتشارك في أداء العملية التعليمية في مجال الدراسات القرآنية سواء بوصفه اهتمامًا عامًّا يشمل تخصصات عديدة، أو تخصصًا واحدًا مرتبطًا بعلم من علوم القرآن، والدليل على ذلك أنه لا يمكن لمدرس واحد أن يؤدي الغاية كاملة، وأن يحقق عبر أداء منفرد جميع الأهداف المعرفية والسلوكية، وهو أمر يتناقض مع سمة العلم التراكمية وطبيعته التركيبية، فعلوم القرآن وحدة مركبة لا يمكن فصل مكوناتها، ومن ثمة عزل تخصص بغرض دراسته كوحدة منفصلة عن كل سياق وتأثير في هذا الإطار لا يمكن دراسة التفسير دون إلمام باللغة العربية التي كلما تمكن الدارس من عوالمها ومن أدق تفاصيلها كلما استبان له جمال نظم القرآن وبلاغته[(١)].

إن الفصل بين علوم القرآن ضمن إطار الدراسات القرآنية يعد فصلًا منهجيًّا ضمن منطق افتراضي لتيسير الفهم، بيد أنه في الواقع يستحيل

(١) المرسي كمال عبد الغني، **مراعاة النظير في كلام الله العلي القدير: دراسة بلاغية في إعجاز الأسلوب القرآني**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٤٧.

القول به على الصعيد المعرفي، نظرًا لحاجة الدارس للعديد من العلوم ليكون فهمه عميقًا ودقيقًا، فالعلوم ضمن هذا السياق تتكامل وتآزر، لذلك فمن غير الممكن الحديث عن الدراسات القرآنية وعن تطويرها دون التركيز على البعد الجماعي في العملية التعليمية والتعلمية، فإذا كان تطوير الدراسات القرآنية مرتبطًا بمدى تحقيق الأهداف المعرفية، الوجدانية، المهارية والواقعية، فإن إمكانية تحقيق هذه الأهداف رهين بغرس روح التعاون بين العناصر المكونة للعملية التعليمية والتعلمية[(١)].

إن الحرص على هذا التكامل المعرفي عبر ربط النص القرآني بنظيره، ثم ربطه بالحديث النبوي الشريف، وبالقراءة الصحيحة، وعلم التفسير إلى غير ذلك من العلوم له أهميته البالغة في حيازة المتعلم لنظرة كلية لا تلغي القول بالتخصص، وذلك درءًا «للتِقنوِية» بالمعنى الذي يحيل إلى ذاك المتخصص الذي لا يعرف شيئًا حينما يتعلق الأمر بمجالات معرفية مُكملة، وإذا كان الأمر يستقيم في بعض التخصصات التقنية التي تعتمد على الممارسة المهنية، فإنه لا يتناسب مع علوم جليلة ممثلة في الدراسات القرآنية التي تقتضي إرادة حقيقية ومُطبقة للتعلم، ومن ثمة لتحقيق الكفاءة والكفاية في هذا المجال اعتمادًا على التقويم المستمر من خلال معالجة مكامن النقص والقصور في إيصال المادة التعليمية، وكذا التعامل مع مختلف التحديات عن طريق تحيين الوسائل والآليات وفق ما تقتضيه الضرورة ممثلة في تحقيق معايير الجودة.

---

(١) موسى مصطفى إسماعيل، **الاتجاهات الحديثة في طرائق تدريس التربية الدينية الإسلامية**، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط٢، ٢٠٠٧، ص٢١٣.

والواقع أن الطابع التشاركي يعد انعكاسًا لطبيعة الدراسات القرآنية نفسها، التي ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار مستوى المتعلم ونضجه، إضافة إلى الفروق الفردية بين المتعلمين وحقيقة دوافعهم النفسية، زيادة على طبيعة السياق الاجتماعي، إذ أن توفر وسائط الاتصال وسهولة الارتباط بشبكة المعلومات يفضي حتمًا إلى توفير أجواء مناسبة للتعلم من خلال استعمال المعطى التكنولوجي في تيسير التعلم، يظهر ذلك جليًّا في خدمة التعليم المستمر والتعليم عن بعد في ترقية وتطوير الدراسات القرآنية، خصوصًا في حفظ القرآن الكريم وتعليم التجويد، شريطة تمتع المتعلم بالحصانة التي تؤهله للتعلم دون مزالق ومحاذير. من هنا يبرز دور فريق التكوين وأهمية التسيير الإداري الفعال للوصول إلى الأهداف المرجوة من التعلم، من خلال تخطيط يلقي على عاتقه اختيار المضامين، تحديد الأهداف والاستراتيجيات المتعلقة بالتحضير والتنفيذ والتقويم، زيادة على تحديد مكان الدراسة والوقت اللازم لتحقيق الأهداف، سواء تعلق الأمر بالحجم الساعي للمقاييس المدروسة أو عدد سنوات الدراسة بالنسبة للتخصص ككل[(١)].

(١) في هذا الإطار يمكن العودة لدراسة بعنوان: «واقع الدراسات القرآنية في برنامج النظام الجديد (ل.م.د) في الجامعات الجزائرية، جامعة وهران نموذجًا»، قدمها الدكتور خالد إسماعيل للمؤتمر الدولي تطوير الدراسات القرآنية، بتاريخ ١٦/ ٠٢/ ٢٠١٣، حيث عمد الباحث إلى تقديم تصور عن التكوين الذي يقدم لطلبة اللغة والدراسات القرآنية نظام جديد في قسم الحضارة والعلوم الإسلامية بجامعة وهران، حيث عرض وثيقة منهاج التدريس بأهدافه وعناوينه الرئيسة، زيادة على المقاييس المدروسة والتي تتوزع إلى وحدات أساسية تمثل المقاييس الأساسية، وأخرى استكشافية تساعد الطالب على التعرف على مجالات بحثية جديدة، زيادة على أخرى أفقية مشتركة مثل اللغة الأجنبية=

كما أنه من اللازم أن يرتبط التكوين بمقاييس تُحقق الإضافة، خصوصًا تلك التي يُحتاج لها في التعبير والتفكير، فالحاجة ماسة إلى إتقان لغة التفكير الأولى ممثلة في العربية بوصفها لغة القرآن، سواء على مستوى النحو بوصفه منطقًا ينظم ويحافظ على سلامة التركيب اللغوي من اللحن والتحريف، أو على مستوى البلاغة من خلال القدرة على إيراد المعنى في تراكيب وصور مختلفة وواضحة، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، لذلك لا يكون الكلام بليغًا إلا إذا ناسب المقال مقتضيات الحال في ضوء مماهاة ومواءمة بين الألفاظ والمعاني، زيادة على ضرورة إدراج تعلم لغة أو لغات أخرى يتم الاستعانة بها وتوظيفها حين الحاجة، وكذا دراسة علم المنطق والاستدلال لتوظيفه في المحاورة والمحاججة، بوصفه العلم الذي يبحث في قوانين الانتقالات من أقوال مُسَلم بها إلى أقوال مطلوبة[(١)].

=والإعلام الآلي. في حين يبقى اختيار وسائل التبليغ من مهمة الأستاذ المشرف على المقياس، في هذا الإطار تبرز المقاربة التخاصصية في ربط اللغة وما يتعلق بها من نحو وبلاغة ودراسة ألسنية وبين معارف القرآن الكريم المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن من خلال التعرف على المقاييس المدروسة في السداسي الأول للسنة الأولى (على سبيل المثال) والمتمثلة في: فقه العبادات، أصول العقيدة، مدخل إلى العلوم القانونية، السيرة والخلفاء الراشدون، مدخل إلى علم الآثار والفنون الإسلامية، علوم القرآن، المنطق، مناهج البحث، اللغة العربية، حفظ القرآن، اللغة الأجنبية، الإعلام الآلي.

(١) طه عبد الرحمن، **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨، ص٨٦.

فاعلية المقاربة التخاصصية

في تحقيق الجودة الشاملة

إن أمة تملك كتابًا معجزة في لغته وبيانه ومقاصده مطالبة بالضرورة أن تبدع في النظر والفكر[1]، بالمعنى الذي يجعل من الفكر أداة لفهم الواقع وتطويعه، ومن ثمة فإن التفكير في تطوير الدراسات القرآنية عن طريق البحث في السبل المؤدية لذلك تماشيًا مع معايير الجودة الشاملة يُعد حالة صحية تُعطي للقرآن الكريم مرتبته السامقة بوصفه كتابًا مقدسًا تتسع معانيه ودلالاته وعجائبه لتخترق فواصل الزمن.

إن واقع التحديات المعاصرة تَفرض على المؤسسات التعليمية للدراسات القرآنية المحافظة على خصوصيتها الانفتاح على مختلف التجارب البيداغوجية والثقافية الناجعة بغرض استثمارها في تحقيق تعليم ذي نوعية، ثم إن الرغبة في الإصلاح والتطوير والتحسين المستمر للأداء التعليمي يعد سعيًا حقيقيًّا لتحقيق معايير الجودة، شريطة إسناد ذلك بتوفير ظروف ملائمة ومحفزة للمدرسين والمتمدرسين على

(١) العبدلي أمير فاضل سعد والهتاري عبد الله علي، **دلائل البيان في أساليب القرآن**، منشورات عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٤، ص١٧٠.

حد سواء. وتعني إدارة الجودة الشاملة جملة العمليات الإدارية والممارسات الناجعة التي تهدف إلى تحقيق الفاعلية في العمل، ومن ثمة الوصول إلى تلبية الحاجيات وتحقيق النجاح[١].

إن تنفيذ المقاربة التخاصصية بوصفها تشاركًا وتعاونًا وتكاملًا بين مختلف القدرات البشرية لتطوير البيئة التعليمية للدراسات القرآنية مع السعي لتحينها وتجاوز مختلف النقائص ومكامن القصور يعد أنسب وسيلة لتحقيق الجودة، لأن الأمر متعلق بممارسات مهارية يقوم بها المختصون والمهتمون لإنجاح مشروع محدد عبر تحقيق أهدافه، سواء تعلق الأمر بالجهات الوصية المسؤولة المكلفة بالإشراف العام، أو الإداريون والعمال ضمن المؤسسة التعليمية أو المدرسون المتخصصون باعتبارهم منفذين، زيادة على المتمدرسين بوصفهم الشريحة المستهدفة بالتبليغ والإفهام.

إن لجلسات التنسيق وحلقات الحوار ومختلف الأنشطة الثقافية المكملة دورًا بالغ الأهمية في تعزيز المقاربة التخاصصية وصولًا إلى تحقيق معايير الجودة الشاملة، بالنظر إلى سمة التواصل والتحاور المحققة، حيث يتم مجابهة الأفكار بالأفكار، عرض المشكلات والإشكالات، تقييم البرامج، زيادة على توحيد التصورات والرؤى فيما يتعلق باقتراح المخارج والحلول[٢].

إن مسؤولية مؤسسات الدراسات القرآنية عظيمة وجليلة، لأن الأمر

---

(١) ربيع هادي مشعان، **الاتجاهات المعاصرة في التربية والتعليم**، ص ١٢٩.

(٢) Moussaoui Rabia, Enseignement: Comprendre et Vaincre les Problèmes de la Classe, ENAG Edition, Alger, 2012, P165.

يتعلق بمختلف الدراسات التي يقتضيها فهم القرآن الكريم، زيادة على الغايات والمقاصد المأمولة من تكوين خريجي هذه المؤسسات الذين يضطلعون إلى استثمار وتوظيف ما تمت دراسته بوصفهم باحثين، أئمة، وعاظًا، دعاة، مدرسين، وعمالًا. ويتطلب ذلك حشد جميع الطاقات وتسخير مختلف المقدرات داخل المؤسسة التعليمية لخدمة هذا الهدف. كل بحسب مسؤوليته، اختصاصه، اهتمامه وجهده.

إن تجسيد نظام الجودة الشاملة ضمن المقاربة التخاصصية يعني بالضرورة ترقية ظروف التعليم والتعلم؛ لأن نظام الجودة لا يقتصر على عنصر واحد، وإنما يتجه إلى ترقية مختلف عناصر ومجالات العملية التربوية بغرض تحسين الأداء وتحقيق الفاعلية، ومن ثمة تجاوز مختلف المواقف السلبية التي تجعل عنصرًا ما في موقف المتفرج، بل إن ضرورة ترقية الجودة العلمية أفضت إلى أهمية معرفة متطلبات المتعلم وقدراته ودوافعه بجعله عنصرًا فعالًا ومشاركًا في التخطيط والتنفيذ والتقويم. الأمر الذي يؤدي إلى تكريم وتشجيع المتفوقين والمبدعين داخل المؤسسة وخارجها. ولتحقيق ذلك لا بد من ترقية المعايير التنظيمية، سواء ما تعلق بقبول وانتقاء طلبة الدراسات القرآنية، أو الهيئة التدريسية، وكذا محتوى المقررات وطرائق التدريس، زيادة على الهيئة الإدارية المخولة بتسيير الموارد البشرية والمادية.

ضمن هذا السياق، لا ينبغي لمؤسسات الدراسات القرآنية أن تعيش بمعزل عن المجتمع، إنها ترصد حاجاته من خلال توفير المهارات البشرية القادرة على خدمته والإجابة على انشغالاته، كما أنها تضطلع بمسؤولية تفعيل الحراك الثقافي ضمن إطار الدراسات القرآنية، حيث

يتعدى الأمر إلى تكوين الطاقات لتقوم بمسؤولياتها ضمن فضاء إسلامي وإنساني تتعدد لغاته وتتشعب متطلباته. من هنا يقتضي التكوين الفعال ضمن إطار الجودة الشاملة مشاركة المتعلمين في الأداء والترقية دون إخلال بالمقاصد في التكوين. كما أن فاعلية المقاربة التخاصصية في تحقيق الجودة الشاملة تقتضي من الطلبة الإلمام بمختلف الفاعليات والمدخلات، ليس بربطها تعسفيًّا بنتائج الامتحانات، وإنما بالقدرة على الفهم والاستيعاب بدل الاكتفاء بالذاكرة، وذلك بتوظيف واستثمار مختلف العمليات العقلية والآليات الإدراكية المستخدمة في عملية التعلم.

خاتمة

إن الدراسات القرآنية منظومة تخاصصية طالما أنها تتفرع إلى تخصصات عديدة واهتمامات متنوعة، لذلك فإن منطق التشارك يبقى أكثر من ضرورة بالنظر إلى الاتصال الوثيق بين علم قرآني وآخر. دون أن ينفي ذلك فائدة التخصص وضرورته، لأن المقاربة التخاصصية يقوم بها المختصون أثناء وضعهم لمقررات الدراسة وطرائق تبليغها، بل أصبح الحديث اليوم عن تخصص التخصص الذي يحيل إلى تركيز الاهتمام وتعميقه لمعالجة نقطة واحدة ضمن مساق معرفي محدد، على غرار الباحث الذي يهتم بالإعجاز العددي في القرآن الكريم ضمن السياق العام للإعجاز العلمي.

إن تطوير البيئة التعلِيمية والتعلُّمية لهذه العلوم الجليلة مرتبط بنوعية المنظومة الفكرية المرافقة لتخطيط وتنفيذ وتقويم الأداء التعليمي والتربوي، زيادة على ضرورة الاستفادة من مختلف الاجتهادات التي يصل إليها علماء التربية ضمن رؤية توظف المنجزات العلمية ووسائط التكنولوجيا والمعلومات لترقية الأداء التعليمي، ومن ثمة مواجهة مختلف التحديات الحضارية عن طريق تجذير خصوصية ثقافية ترسخ

الأصول وتحافظ على الفرادة، وفي الوقت عينه تنفتح على التجارب الإنسانية المضيئة والنافعة بغرض الاستفادة والاغتناء.

كما أن تعزيز المقاربة التخاصصية ضمن إطار التكوين الأكاديمي والجامعي يقتضي تفعيل مقاربة تشاركية تبدأ بالمنهاج أولًا، بانتقاله من العمومية إلى التخصص وفق بناء هرمي، يشرف على تجسيده فريق التكوين بما يؤسس لمنهجية مُطبقة في التكامل والتنسيق بين المقاييس المدرسة من جهة، وحتى ضمن إطار المقياس الواحد عبر عناصره ومباحثه المكونة له، شريطة تجسيد هذه المقاربة في إطار وظيفي واقعي ومرن، يحتفي بمختلف طرائق التدريس تبعًا لخصوصية الموضوع والفئة التعليمية المستهدفة، مع ضرورة العناية بها من حيث مراعاة سمة التدرج والدافعية، إضافة إلى الخصوصية النفسية والاجتماعية. ومن جهة أخرى إنه يسعى أيضًا إلى إحداث المواءمة بين مطلب التخصص ومطلب التشارك بين الحقول المعرفية المتعددة بما يخدم التخصص، ويؤسس لوحدة الانطباع والفاعلية التي تترسخ بعد عملية فحص المخرجات والتحقق من استيعاب المدخلات، وفق سياق يهدف أساسًا إلى تشجيع التخصص والاحتفاء به، بالإضافة إلى تفعيل السمة التشاركية، وذلك بغرض تطوير الدراسات القرآنية شكلًا ومضمونًا.

المراجع

١ ـ الحسن مصطفى، **موجز في طبيعة النص القرآني**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٤.

٢ ـ ربيع هادي مشعان، **الاتجاهات المعاصرة في التربية والتعليم**، منشورات مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٨.

٣ ـ الشمري هدى علي جواد، **طرق تدريس التربية الإسلامية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٣.

٤ ـ طه عبد الرحمن، **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨.

٥ ـ عباس فضل حسن، **محاضرات في علوم القرآن الكريم**، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧.

٦ ـ العبدلي أمير فاضل سعد والهتاري عبد الله علي، **دلائل البيان في أساليب القرآن**، منشورات عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٤.

٧ ـ محجوب عباس، **طرائق تدريس العلوم الإسلامية**، منشورات عالم

الكتب الحديث وجدار للكتاب العالمي، إربد وعمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٦.

٨ ـ المرسي كمال عبد الغني، **مراعاة النظير في كلام الله العلي القدير: دراسة بلاغية في إعجاز الأسلوب القرآني**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠.

٩ ـ مرعشلي يوسف، **علوم القرآن الكريم**، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

١٠ ـ ملكاوي محمد عدلي، **التربية على العمل الجماعي في ضوء القرآن والسنة**، منشورات دار الخليج للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣.

١١ ـ موسى مصطفى إسماعيل، **الاتجاهات الحديثة في طرائق تدريس التربية الدينية الإسلامية**، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط٢، ٢٠٠٧.

12 - Bru Mark, Les Méthodes en Pédagogie, Que sais je?, PUF, 2 Ed, 2012.

13 - Moussaoui Rabia, Enseignement: Comprendre et Vaincre les Problèmes de la Classe, ENAG Edition, Alger, 1 Ed, 2012, P 165.